



صدر الدين أمين ليس هنالك نقاد متخصصون بالفن التشكيلي

- خالد خضير

صدر الدين أمين، فنان أعلن التوحد بالطبيعة استراتيجيا لتجربته، فاستلهم العالم المحيط بذاكرته، فقد فارق ذلك العالم، الذي هو كردستان العراق ليقوم في بنسلفانيا، حيث استبدل البناءات الشاهقة والجدران الكونكريتية بالطبيعة، بما تحتويه، فبدأ يشعر أن هناك حاجة في نفسه ليعود إلي مخزونات ذاكرته البكر ليؤسس منها ما أسميته مرة (بويطيقيا الذاكرة).

انقل هنا محاوره طويله معه يتحدث فيها عن مختلف جوانب تجربته، فبادرته أولا بالسؤال:

هل لقد صنفك كفنان محيطي أي واقعي من نمط خاص بل بصفة أدق تعبيريا تجريديا، فماذا ترى؟ وهل تقر ان مهمة الفن تجميع موجودات المحيط ثم إجراء والأسلبة والاختزال والتحوير الشكلي عليها؟

- إنني أميل الي الرسم التشخيصي لان في ذلك بعدا إنسانيا وروحيا ونفسيا، وأريد ان تكون لوحتي مليئة بالحياة، ولا أريدها ان تكون لوحة جامدة، صامتة، وغير مفهومه للآخر، أريدها ان تكون مؤثرة ولا تصدم المشاهد بقدر ما تسعده. الرسم بالنسبة لي هو إسعاد الآخرين لذلك اخترت مفرداتي بدقة، وحتى عندما أكررها، فأنا أكررها بشكل مختلف في كل عمل جديد. لا أريد ان أصنف داخل إطار معين، كتعبيري، أو تجريدي أو بدائي الخ، لانني اعتبر ذلك بمثابة قيد يكبل حركة الفنان. أنني فنان مجرب وفي كل فترة ومرحلة لي تجارب خاصة ومختلفة. أتذكر جيدا في منتصف الثمانينات صنفني أستاذي في مادة اللون الفنان الراحل محمد صبري، أيام كنت طالبا في أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد فقد صنفني بأنني رسام وحشي، أي انتمي الي المدرسة الوحشية، وكان محقا في ذلك إذ أنني كنت حينها تحت وقع تأثير أسلوب هنري ماتيس. اليوم أريد ان اجمع كل الأساليب في ان واحد، رغم صعوبة القيام بمثل هذه المغامرة، فأنا اعتبر ان الفنان الجيد هو مغامر جيد، ومكتشف للكنوز والأسرار والغموض في الحياة وليس من المهم ان تتجح أو تفشل، بل المهم المحاولة. الم يقل أندريه بريتون ان فكرة النجاح والفشل عند أخص قديمي. برأيي ان مهمة الفنان ليست في تجميع موجودات المحيط، ثم إجراء الاختزال والأسلبة والتحوير فحسب، بل ان مهمته اغناء الجانب الروحي للإنسان و تكثيف معني الحياة و تنشيط نبضات القلب، الفنان صانع سحر صوت الروح المعبر عن أحاسيس البديهية الأولى باعث تلقائي للا شعور، مكتشف الجمال غير المؤلف، الباحث عن صفاء بدائي مفقود لدي إنسان اليوم، الرسم خلق كالتبيعة، لان الفنان إنسان يضيف شكلا الي شكل ما، وإذا كان هذا الشكل مجرد شكل بدون روح فهو شكل ميت. والفن ليس مجرد شيء نجده في المتاحف والصالات، الفن هو البحث عن جوهر الحقيقة، وهو تفسير للطبيعة ايضا، الفن سؤال بلا جواب، ومهمة الفنان البحث عن الجواب.

لماذا اتخذت الكائنات الأخرى صلة لك مع المحيط ولم تتخذ الجدران والكتابات والحروف والعلامات؟

– نحن جميعا كائنات حية، نحن مسكونون بحياة ووجود قائم علي مشاعر وأحاسيس شعورية ولا شعورية، إنني مرتبط بالخيال الرمزي لتلك الكائنات، واقعية كانت أم خرافية إنني ابحث عن الشكل النقي أي الإبقاء علي لغة الحوار البصري والباطني في العمل الفني لجوهر الاستجابة الفنية، لا أريد رقابة علي أعمالي، أريدها أن تندفع نحو أعماق الزمن الأسطوري الخلاق، الأساطير مصدر قوة دائمة في كل فكر وفن و الإحاطة بهذه المخلوقات تمنحني نشوة داخلية ينبع منها بعد رمزي، كنمط خاص من التفجرات الداخلية المستمرة للفنان، هكذا وجدت نفسي مولعا، ومهووسا، ومفتونا بسحر الكائنات وحضورها المدهش في أعمالي. هناك شعور خفي يدعوني إلي رسم هذه الكائنات، فأنا ولدت في بيئة شرقية، كان للعنصر الحيواني فيها حضور كبير، كجسد، وحركة، وحكايات، و أساطير، ورموز، وخرافات، وشعائر دينية، وبيئة عشت فيها ومازالت احملها في ذاكرتي، بيئة بدائية برية، وبريئة، وقد كانت ولازالت هناك الكثير من التشابهات والاستعارات للحيوان منذ أسطورة كلكامش وحتى يومنا هذا. وهي تظهر (=الكائنات) في أعمالي أحيانا كجسد وأخرى كاستعارات، أنا مولع بتأمل الكائنات من الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات، كائناتي غير مروضة، وغير عقلانية، وأحيانا لا أريدها أن تتعقلن، أريدها أن تكون اقرب إلي الطفولة وبراعتها، أريدها أن تكون منفلتة ووحشية من التركيب المعرفي، هكذا أراها جميلة ومؤثرة، إن وجودها يشد المخيلة فهي تهينا حواس جديدة، مرة سؤل فنان ياباني لماذا ترسم الحيوانات أجاب لان الحيوانات لا تخون. إن كائناتي تخيلات روحية، دهشة مستمرة وعودة لروح الأرض، كائنات طقوسية احتفالية هيئات حلمية سحرية طلسمية نورانية عاطفية، كائناتي حضارة كاملة، خلاص لروح الإنسان من الشر الكامن في نفوس الجنس البشري المتعطش لتدمير مملكة الحلم والسكينة للإنسان إنني أدعو الي البدائية في الرسم أدعو الي السكون الأول (=الرحم) حيث لانهائية الشهوة والإمتاع وجوهر الأشياء.

إذا تغلف كائناتك بجدران سميك هل هو خوف من الخارج وانكفاء الي الداخل؟

– هذا سؤال مهم وقد سألني إياه أيضا ناقد أمريكي، اقتنتني مني لوحتين يومها، تقول عبارة للكاتب الأمريكي جيم هارسون: إن المخلوقات الحيوانية تعيش في الخارج ونحن البشر نعيش في الداخل. نعم أنا اعتقد انه نوع من الانكفاء للداخل، هذا من ناحية ومن جهة أخرى، أري أنها انعكاس داخلي للحقائق المحسوسة، وأريد أيضا من خلال هذا التغليف الحاد لمفردتي، أن الفت نظر المتلقي إلي هيئة الكائن بشكل استثنائي والتركيز عليها، لان لكل كائن لغة خاصة به، وتصور خاص، وفلسفة خاصة تختلف عن بقية المفردات في اللوحة ذاتها، إنني بذلك أريد أن أحافظ علي استقلالية الكائن أو المفردة باعتبارها عنصر فعال ومؤثر قائم لوحده، وأريد أن أوضح رؤيتي للعالم بشكل واضح وظاهر للعيان، يقول الكاتب جون كيونزي يجب ان يكون الفن واضحا كاللهب. من خلال مشاهداتي وتأملاتي للكثير من رسوم الجدران والكهوف والنقوش القديمة علي الأحجار، وكذلك اللقي الأثرية، وجدت ان اغلب الرسوم عبارة عن تحديد خارجي حاد للشكل، بدون تفاصيل داخلية في هيئة الشكل العام، ونادرا ما تتداخل الأشكال مع بعضها البعض هكذا أجد نفسي مثل ذلك الصياد البدائي حين يرسم علي جدران الكهوف بعفوية عالية هيئة الكائن، بخطوط حادة قوية، رشيقة عميقة أخادة، ليعلمنا بعدها بفطرته البدائية الدرس الأول للرسم، أنني مدين لذلك الصياد البدائي الذي هوانا.

أشكالك بدأت تتحو نحو البساطة هل تتوقع ان تتجه كلية صوب لغة اشارية مجردة كالغيرافية أو لبدائيات المسمارية جديدة؟

– هذا واحد من أصعب الأسئلة التي تواجه الرسام، وأنا عادة أسأل نفسي هذا السؤال بعد الانتهاء من وضع اللمسات الأخيرة علي اللوحة، فحين أبدا بالرسم ارسم بانفعال واندفاع ورغبة ولذة، حين انتهي من اللوحة ينتابني شعور غير عادي من البهجة والسعادة وفرح طفولي غامر للأسف لا يستمر

طويلا، وبعد حين أجد نفسي في حزن وهمّ وقلق وحيرة، وأسأل نفسي كيف ستكون لوحتي القادمة، تلك اللحظات هي الأكثر صعوبة للفنان، فكل ما اعرفه أنني ارسم ولا اعرف أين تقودني كائناتي، وأين تأخذني، وهل اهجرها يوما، ومتي سأتوقف، إذن تنتظر مخلوقاتي مصيرا مجهولا، لكني سأستمر بالرسم مادام هناك بشر ومخلوقات وطيور واسماك وأساطير وحكايات وأحلام، هكذا ارسم برغبة مجروحة بالرغم من وجود الحياة، والرسم يحتاج إلي قرابين وأضاح وربما يتحول الفنان نفسه يوما إلي قربان كما حدث لفان كوخ ومارك روتكو ودوستايل. بعد كل هذا لا اعرف ان كنت سأتجه صوب لغة أخرى، اعتقد بأنني ربما سأتوجه يوما، حين استنفذ كل ما عندي من أوكسجين كائناتي، الي حالة أخرى، الي ما قبل الكاليفرافية، لان الكاليفرافية فقدت بريقها الأول، بسبب سوء فهم أسرارها الحقيقية والاشتغال عليها بشكل سطحي وتشويهي غير مفهوم كقيمة روحية وإبداعية من قبل الكثير من الفنانين. أنا الآن أحاول، وابحث، وادرس، وأتعمق في (البكتوغرافيا)، وهي كتابة تصويرية قديمة تمزج بين الرسم والكتابة، وتشبه الي حد ما التخطيطات الهيروغليفية، والكتابة التصويرية الصينية اليابانية، وهي بمثابة المدخل الحقيقي لفن الرسم والخط في ان واحد، وأنا اعتبرها انسكلوبيديا التصوير، فيها كل مفردات الكون التعبيرية: أشكال بدائية، حيوانية، ونباتية، تتناسل في عالم حلمي بلا بداية ولا نهاية. هذا ما أسعي إليه واشعر بأنني أسير باتجاهه يوما ما، باحثا عن سعادة بسيطة وحقيقية. انه بحث وجودي عن روح البراءة بكل تفاصيلها. هذا ما تحمله مخيلتي الآن.

١٠ ماهي أوضاع الفنانين العراقيين في أمريكا، وما هي تأثيرات الغربة علي منجزك الفني؟

- أود أن أشير في البداية أن في أمريكا عدد محدود جدا من الفنانين العراقيين لان اغلب الفنانين العراقيين ومنذ الستينيات توجهوا لدراسة الرسم إلي إيطاليا وفرنسا بالتحديد ومن أوائل الذين غادروا العراق إلي أمريكا لدراسة الرسم وعن طريق بعثة رسمية وذلك في أواخر السبعينات كل من الفنانين وليد شيت وصاحب احمد وهما عادا إلي العراق وكذلك الفنان هاشم الطويل ومحمد تعبان وسعدي عباس البابلي و هؤلاء الثلاثة يعيشون حاليا في أمريكا، وقد هاجرت التسعينيات مجموعة أخرى من الفنانين الي أمريكا واغلبهم بالتحديد من طلبة أكاديمية الفنون الجميلة. وهؤلاء ايضا تستطيع ان تعدهم علي أصابع اليد الواحدة وللأسف الي الآن لم يقدم الفنان العراقي في أمريكا شيئا كبيرا ومتميزا، فلا وجود لفن عراقي يذكر بمعناه الأشمل، فمن المستحيل ان يجتمع ثلاثة فنانين في مكان واحد، ولهذا أسباب كثيرة، منها ان في أمريكا عدة ملايين من الفنانين، وملايين من الفنانين الأجانب، واغلب القاعات محجوزة علي الأقل لمدة سنتين، وبعضها الآخر لمدة خمس سنوات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تلقي صعوبة العيش بتقلها، إذ ان علي الفنان وقبل كل شيء ان يجد له عملا، وهذا العمل يستنزف كل طاقته وهو يحتاج ان يتقن اللغة جيدا. الحياة في أمريكا مغرية وسريعة ومكلفة وتنسبك كل شيء، وإيقاع الحياة يجري بسرعة مذهلة، فالأيام والسنوات تمر كالبرق لهذا يشعر الكثيرون بالضيق والخسارة، لذا فالفنان الذي لا يستطيع الصمود بوجه كل هذه المعاناة سينتهي حتما وللأسف، لكن الفنان الذي يحمل في داخله بذرة الفن، وعشقها و كان حقيقيا وصادقا مع ذاته فهو سينجح بالتأكيد، لان أمريكا بلد الفرص الذهبية ومدينة نيويورك الآن قبلة الفنانين، إذ يجد الفنان كل ما يحلم به في هذه المدينة وهناك مثل أمريكي يقول يستطيع الإنسان ان يعيش في حي من أحياء نيويورك مدي الحياة من دون ان يحتاج الي أي شيء أو يغادر الي أي مكان. في رسالة مؤثرة لي كتب الشاعر والناقد فاروق يوسف قائلا ان الفنان الجيد عليه ان يرمي نفسه في التهلكة هذا إذا أراد ان يكون فنانا جيدا

هذا الكلام واقعي جدا ومهم جدا لان كلمة فنان كلمة كبيرة، والفن يحتاج الي توضيحات كبيرة. نعم الغربة قاسية، ولكن الفنان الحقيقي كان وما يزال كائنا غريبا علي مر العصور، والغربة مؤثرة وتأثيراتها كثيرة شخصا لم اشعر الي الآن بالغربة، لأنني أصبحت حرا، و الحرية أجمل شيء في

الحياة إنها تنسيك الغربية، وهكذا أتيت العالم الجديد كي أتخلص من العبودية وأكون فنانا مبدعا حرا فهنا وجدت نفسي أفكر جيدا وارسم جيدا وأقرأ كل ما أريد وازور القاعات الفنية والمتاحف المهمة واري أعمال الفنانين العظام عن قرب وأقيم المعارض واشترك في المعارض .

لماذا قراءتك للفن العراقي ماضيا وحاضرا؟

– العراق بلد الفن والفنانين . الفن العراقي فن متطور ومتميز وراق، لان له جذورا عميقة عمق حضارة ميزوبوتاميا، اذكر حين دخلت متحف ميترو بوليتان في نيويورك سألت الدليل عن أفضل واهم جناح فأشار إلي جناح وقاعة حضارة وادي الرافدين، أنا اعتقد أن الفن العراقي يأتي في طليعة الفن العربي من حيث الرؤية والفلسفة والجرأة والتقنية، وان للفن العراقي سحرا خاصا، لكن معضلة الفن العراقي ان هناك فترات طويلة مظلمة في تاريخه و حروب وسيطرة واحتلال وتدمير وخراب منظم منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، لقد كانت ارض الرافدين حقا مهبط الإلهام الأول، هذا ما تعلمته من أستاذي في تاريخ الفن الدكتور زهير صاحب، إن قدر الفنان العراقي، لكي يتواصل مع مسيرة الحياة والفن، أن ينحت عذاباته في الصخر ويبني فوق خرائب تنهار أسطوره بألم وشجاعة كي ينتج نماذج فنية بارعة يليق بانتمائه الي حضارته العظيمة . أما أوجه المقارنة بين الرسم العراقي ماضيا وحاضرا فهو ان فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات كانت من أخصب الفترات وقد انتح فيها إعمالا فنية راقية .في الماضي كان الفنان العراقي مخلصا لعمله، يعشق فنه، غزير الإنتاج، يفكر بشكل جيد في اللوحة الحديثة وماهية الرسم، ويؤسس الجماعات، ويصدر البيانات، فظهرت أولي التجارب والأساليب الواقعية والانطباعية والسريرية والتعبيرية والتجريدية وذلك بسبب الانفتاح السياسي والثقافي والتماسك الروحي بين الفنانين والمنقذين، مما أدى الي ظهور جيل مهم في الرسم العراقي، وفنانون كبار أمثال المبدع العالمي ضياء العزاوي ومثله رافع الناصري وكذلك الأب الحقيقي للفن الحديث في الشرق الأوسط الأستاذ شاكر حسن آل سعيدي وهو قد انتهج فلسفة البعد الواحد في الرسم ولم يسبقه احد وهو الوحيد المتفرد الذي له مرديدية الكثيرين في العراق والعالم العربي – الفن والفنان العراقي اليوم وللأسف مشوش مرتبك خائف فقد الجرأة وروح المغامرة مصاب بهلوسة فكرية لم يعد يرسم بجزارة، كثيرون تركوا الرسم وآخرون اختاروا العزلة، فلم نعد نسمع عنهم شيئا اغلب الفنانين صاروا عديمين، الفنان العراقي صار ازدواجيا ما بين القول والفعل فهو يدعو في طروحاته وأحاديثه الي فكر وفلسفة ما بعد الحداثة وهو منتشر بالفلكلور، يضع قدما في التجريد وأخري في واقعية سطحية ورخيصة همه البحث عن الأصالة والهوية ناسيا اللغة الإنسانية للرسم وهذه مشكلة وتناقض كبير هناك خلل فطيع في رؤيته المغلقة، قلة منهم يرسمون لأنفسهم، واغلبهم صاروا فنانين شعبيين وهم مقيدون بثوابت ومرجعيات جمالية افرزها الماضي، اعتقد ان الفنان العراقي لا يعيش زمنه اليوم، القيامة تنتظر الفنانين العراقيين والفنانون العراقيون ينتظرون القيامة.

لماذا رأيك بالنقد التشكيلي العراقي، وما أهميته في متابعة المنجز التشكيلي العراقي؟

– من خلال متابعتي للحركة النقدية التشكيلية العراقية منذ ربع قرن وجدت انه ليس هناك نقاد متخصصون في النقد التشكيلي، ولا حتي في المنطقة العربية ككل، وان جميع النقاد العراقيين بلا استثناء هم أما رسامون أو شعراء أو كتاب، هذا لا يعني أنهم لا يتقنون صنعة النقد بل أنهم يمارسون النقد كصناعة ثانوية وليس جوهر صنعتهم الإبداعية الأصلية، فهم يمارسونه كنوع من التسلية ليس إلا، كما اعترف لي مرة ناقد عربي مهم وهذا من حقهم لأنهم غير متخصصين، ولا يريدون ترك مهنتهم الأصلية شعراء كانوا أم رسامين.

لقد وجدت ايضا ان الكتابات النقدية تلك التي تكتب من قبل الناقد الشاعر تختلف تماما عن كتابات الناقد الرسام، لان هناك فرقا بين رؤية كليهما في فهم تشريح اللوحة، رغم انه في النهاية يلتقيان في عملية الخلق الفني، لذلك ولأسباب كثيرة أخري اجد ان النقد في وضع غير طبيعي ولم يساهم

مساهمة كبيرة في نشر مفهوم اللوحة الحديثة للجمهور، وبشكل منسجم مع واقع التشكيل العراقي ولم يكن حلقة وصل كبيرة بين الفنان والجمهور، أنهم لا يتابعون مراحل الفنان كما يحدث هنا في أمريكا مثلاً، إضافة الي عدم وجود مجالات متخصصة في الرسم والنقد وندرة المؤلفات النقدية، ان للنقد أهمية كبيرة في نشر الوعي الجمالي في المجتمع وللناقد دور مكمل للفنان، فالفنان يرسم ويمضي وعلي الناقد ان يبحث عنه ويجده أينما كان وأينما حل وعليه ان يواكب مسيرة الفنان منذ أول معرض له أو منذ اكتشافه ولحين ان يموت وحتى بعد الموت.

٦٦) تأثير المحيط أو الطبيعة في شمال العراق والتراث الشعبي الكردي علي منجزك؟

– ان كردستان العراقية تمثل كل قيم الحب والبراءة والجمال وامتزاج الخيالي بالحقيقي، وأجواؤها فردوسية أسطورية، إنها عالم الجمال البريء، بفطرته الأولى، هناك وشيجة روحية باطنية حميمة تربطني ببيئة كردستان، حيث ولادتي ونشأتي قبل أي شئ آخر. تستطيع أن تلمس الحضور الخفي والمعلن للأثر الكردي في أعمالي، سواء تلك التي نفذتها في منتصف الثمانينيات بالأسود والأبيض وأنا في العراق، أو أعمالي الملونة الأخرى التي نفذتها في أمريكا، لقد تأثرت كثيراً بالذاكرة الميثولوجية والحكايات الشعبية والفلكلورية الكردية، واستلهمت في أعمالي الكثير من جمالها البدائي الوحشي وجبالها وأشجارها وطيورها وحيواناتها وأسماكها وحشراتنا، وتأثرت بألوان ونقوش السجاد الكردي تلك التي تتسجها أيادي النساء في القرى النائية، فهي تذكرنا بإبداع الإنسان الأول ببراءة وجمال قل نظيره .

٦٧) ماهي أبرز المحطات والفنانين الذين تركوا تأثيراً في منجزك الفني؟

– أود أن أؤكد أن التأثير والتأثير من الخصائص المهمة في عملية الخلق الفني وهي من مراحل الفنان المهمة لحين خلق شخصيته وأسلوبه الخاص وان التأثير لايعني إطلاقاً التقليد الأعمى لان التقليد يعني استنساخ اللوحة بكامل تفاصيلها بينما التأثير يعني الانتماء إلي فضاءات وعوالم واتجاهات فنان أو أسلوب ما وان كل فنان ومنذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا متأثر بخمسة فنانين علي الأقل سواء في الشكل أو المضمون او في اللون او خطوط او تكنيك او إخراج او رؤية والخ وقد وجدت ذلك من خلال كتاب مهم صدر في العام الماضي عن دار فايدون يضم الكتاب أهم فناني العالم وذلك بالدلائل والصور، لقد اعترف بيكاسو بتأثره بمانتيس واعترف بيكون بتأثره بعشرينيات بيكاسو وهؤلاء الثلاثة كما هو معروف عمالقة في الفن، وأنا أجد نفسي متأثراً حد العشق بذلك الفنان اليرافديني الذي نحت أول ثور مجنح و أولئك الفنانين المجهولين الذين تركوا رسوماتهم البدائية علي جدران الكهوف – اعشق الجداريات الفرعونية والمنحوتات الأفريقية المذهلة، اعشق رسوم الأطفال ورسوم المجانين والفنانين الفطريين